

الترجمة الأولى عربيًا

يراعاتُ طاغور

شذرات شعرية صوفية

ترجمة وتقديم: رياض حمادي
مراجعة: د. عبد الوهاب المقالح



دار نهضة مصر

پراعات طاغور

شذرات شعرية صوفية
(الترجمة الأولى عربيا)

ترجمة وتقديم
رياض حمادي

مراجعة
د. عبد الوهاب المقالح



يراعات طاغور
شذرات شعرية صوفية
(الترجمة الأولى صربياً)

ترجمة وتقديم:
رياض حمادي

إشراف عام:
داليا محمد إبراهيم

طاغور، رابندرانات، 1861 - 1941
يراعات طاغور، شذرات شعرية صوفية
ترجمة وتقديم، رياض حمادي، مراجعة، عبد الوهاب المقالج
الجيزة، دار نهضة مصر للنشر، 2017
112 ص، 14 سم
تدمك، 9789771455981
1- الشعر الهندي
2- الشعر الصوفي
أ- حمادي، رياض (مترجم ومقدم)
ب- المقالج، عبد الوهاب (مراجع)
ج- العنوان

جميع الحقوق محفوظة © لدار نهضة مصر للنشر
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين
أي جزء من هذا الكتاب بآية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية
أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

الترقيم الدولي: 978-977-14-5598-1
رقم الإيداع: 2017 / 28727
الطبعة الأولى: يناير 2018

تليفون: 02 33472864 - 33466434
فاكس: 02 33462576
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

**پراعات
طاغور**

مقدمة

رابندرانات طاغور، شاعر ومسرحي وروائي هندي، ولد عام 1861 في القسم البنغالي من مدينة كلكتا، تنتمي أسرته إلى طبقة البراهمة، لكنها جمعت بين النزعة الغربية العملية ومثالية الهند وزهدِها، عُرفت أسرته بثرائها وتراثها ورفعة نسبها، فكان والده مصلحًا اجتماعيًا ودينياً معروفاً وسياسياً ومفكراً بارزاً. أسس جدُّه إمبراطورية مالية، وكان آل طاغور رواد حركة النهضة البنغالية. تلقى طاغور تعليمه بدايةً في منزل الأسرة، ودرس القانون في إنجلترا، لكنه عاد إلى الهند؛ ليدير أملاك والده الشاسعة. تزوج وهو في الثانية والعشرين بفتاة في العاشرة، وأنجب منها ولدين وثلاث بنات. مُنح جائزة نوبل للأدب عام 1913، وأنشأ مدرسة فلسفية في غرب البنغال معروفة باسم فيسفا بهاراتي أو الجامعة الهندية للتعليم العالي في عام 1918.

قدم طاغور للتراث الإنساني أكثر من ألف قصيدة شعرية، وحوالي 25 مسرحيةً وثمانية مجلدات قصصية وثمانية روايات، إضافة إلى عشرات الكتب

والمقالات والمحاضرات في الفلسفة والدين والتربية والسياسة والقضايا الاجتماعية. وإلى جانب الأدب احترف طاغور الرسم في سن متأخرة نسبيًا، أنتج آلاف اللوحات، كما كانت له إسهامات في الموسيقى، فكتب أكثر من ألفي أغنية، اثنتان منهما صارتا النشيد الوطني للهند وبنجلاديش.

أمضى طاغور ما تبقى من عمره متنقلًا بين العديد من دول العالم، وظل غزير الإنتاج حتى قبيل ساعات من وفاته حين أملى آخر قصائده لمن حوله، ودخل غرفة العمليات لإجراء عملية جراحية، تُوفِّيَ على إثرها عن عمر يناهز 80 عامًا، وذلك في أغسطس من العام 1941. كتاباته مُفعمةٌ بحب الطبيعة وحبّ الهند. البنغالية هي اللغة الأساسية التي كتب بها أعماله، وقد ترجم بنفسه العديد منها إلى الإنجليزية.

أما مجموعة الشذرات التي تحمل عنوان يراعات (Fireflies)، فتُوصف بأنها مجموعة أمثال وحكم وأقوال مأثورة كُتبت في الأصل على قطع من الحرير في الصين واليابان التي زارها طاغور، وقام بجمعها في مفكرته، ونشرت بالإنجليزية لأول مرة في 1928. تتسم اليراعات بقصرها، هي أقرب إلى بنية قصيدة الهايكو، وتحمل في مجملها صورًا عن الحب والحياة والجمال

والمُقَدَّس. يبلغ عددُ اليراعات 255، مع اختلاف أرقامها في النسخ المتوفرة على الشبكة العالمية. في أصلها الإنجليزي يُوجد أكثرُ من 18 طبعةً، وأحسب أن ترجمتي هذه التي أنجزتها قبل عامين هي الترجمة العربية الأولى.

اتسمت بعضُ اليراعات - في أصلها الإنجليزي - بقدر من الغموض. وللمواءمة بين مفهوم الترجمة باعتبارها تأويلاً والحيلولة دون الوقوع في فخ التفسير - الذي يحاول فك الغموض بالتوصل إلى معنى محدد - اقتضت القيمة الجمالية الإبقاء على ذلك الغموض الذي يسمح بتوليد دلالات متعددة. فالمهمُّ في ترجمة الشعر - كما قال رشيد المومني في مقال له بعنوان (ترجمة الشعر كإشكال فلسفي) - هو جماليات النظم «المتحركة في كل حكم أو تقسيم، باعتبار أن الرسالة المُضمَّرة في النص، تبقى - على أهميتها - ثانوية، إذا ما قُورنت بخصوصية التفاعل العام، لمجموع مكوناته، والمتحقق أساساً باللغة، التي لم تُعدَّ يعيننا شأنها في كونها لغة أصل، أو لغة فرع، قدر ما تُغنيننا قوة حضورها داخل مدونة القول الشعري والفلسفي». المواءمة بين الترجمة والتفسير ليست هي المشكلة الوحيدة التي تُقابل كلَّ مترجم للشعر؛ فهناك مشاكلُ أخرى واجهت ترجمة هذه اليراعات.

هناك - أولاً - اختلافُ الأسماء بين اللغتين؛ فكثير من الأسماء المؤنثة في الإنجليزية هي مُذكَّرةٌ في العربية، والعكسُ. من هذه الأسماء (الشمسُ) مذكرةٌ و(النهرُ) مؤنثٌ، وغيرها من الأسماء والضمائر. واليراعة التالية مثالٌ على ذلك:

تهمس نجمة الصباح للفجر:

«أخبرني أنك لي وحدي»

يجيبُ الفجر: «نعم،

ولتلك الزهرة المجهولة وحسب»

اقتضى سياق الحوار، الذي يدور بين مذكر ومؤنث، تأنيث النجم - المذكر في الأصل - نظرًا إلى استحالة تأنيث الفجر كما ورد في الأصل. وهذا مثال آخر:

تعرف زهرة الياسمين

أن الشمس

ستكون أختها في الجنة

سياق اليراعة، في الأصل، يدور بين مؤنث هو الياسمين، ومذكر هو الشمس، فكان لابد من استبدال أخيها بـ «أختها». كما احتوت بعض اليراعات على ضمائر تحتمل الإشارة إلى مؤنث أو مذكر، حبيب أو حبيبة، أو مقدس.

استهلال بعض الأسماء بحرف كبير ممتنع في العربية، خلافاً للإنجليزية التي قد يشير الحرف الكبير إلى تمييز ذلك الاسم بصفة مقدسة، كما في يراعة «حين يلامس صوت (الله) الصامت كلماتي». التي ميزت كلمة Silent بحرف كبير، وهو ما يقتضى تمييز الغائب بصفة أو اسم كما في المثال.

ثمة يراعة تأسست على التلاعب اللفظي بين كلمتين تتقاربان صوتياً، مثل (spilling) و(spell)، وهو ما لا يمكن نقله إلى العربية. وأخيراً، هناك مخاطبٌ مجهول وجدنا أنه من المفيد الكشف عنه، وهو النحلة، كما في اليراعة:

حبك المرفرف، أيتها النحلة

مس بجناحيه زهرة شمسي

ولم يسألها

إن كانت تَوَدُّ التنازل عن عسلها

أخيرًا، ما كان لهذه الترجمة أن تظهر بهذه الصورة
لولا مراجعة الصديق المترجم المعروف الدكتور
عبدالوهاب المقالح، كما أشكر الصديقين العزيزين
الشاعر محمد الشميري والشاعر الناقد محمد البكري؛
لجهودهما في تدقيق النسخة العربية.

رياض حمّادي



1

خيالاتي يراعاتُ

بقع ضوءٍ حي

تتلاً في الظلام



2

الصوت المترنم في هذه الأسطر العابرة
هو صوت بَنَفْسِجْ جانب الطريق
الذي لا يلتفت إليه العابرون

3

في كهوف العقل المعتمة النعسانة
تبني الأحلام أعشاشها
من شظايا قوافل النهار المتساقطة

4

ينثر الربيع بتلات الأزهار
التي لن تكون ثمارًا للمستقبل
بل لنزوة اللحظة

5

الفرح المتحرر من أغلال سُبات الأرض
يتدفق في أعدادٍ لا تحصى من الأوراق
ويتراقص في الهواء طوال النهار

6

كلماتي التي تزدري رقصتي الرشيقه
فوق موجات الزمن
حين يُثقل عملي بالمعنى
غرقت

7

العقلُ حشراتٌ سرية
تُنمِّي أجنحةً رقيقة
وتشرعُ في رحلةٍ وداع
في سماء الغروب

8

الفراشة لا تحصي الأشهر
بل تعد اللحظات
ولديها وقتٌ كافٍ لذلك

9

أفكاري شرارة
تمتطي المفاجآت المجنحة
ولا تحمل سوى ضحكةٍ وحيدة

10

تُحدِّقُ الشجرة بحب في ظلها الجميل
الذي يستحيل عليها عناقُه

دعي حبي يُطوّقك

كضوء الشمس

ويمنحك حريةً منيرة

الأيامُ فقاعات ملونة

تطفو على سطح ليلٍ بلا قرار

هداياي أبسط من أن تدعي إحياء ذكراك

ولذا يمكنك أن تتذكريها

14

إن كان اسمي عبثاً
فانزعيه عن الهدية
واحتفظي فقط بأُغْنِيَّتِي

15

نيسان طفلاً
يكتبُ الهير وغليفية بالأزهار
على الغبار
يمحوها ثم ينسى

16

الذاكرةُ كاهنةٌ تقتلُ الحاضر
وتقدمُ قلبه قرباناً
لضريح الماضي الميت

ينطلقُ الأطفالُ
 من عَتَمَةِ المعبدِ المَهِيبةِ
 ويجلسون على الترابِ
 يشاهدُهم اللهُ وهم يلعبون
 فينسى الكهنة

مثل جدولٍ
 مخصوص بنعمة براءة مفاجئة لا تتكرر
 يشتعل عقلي فجأة في لحظة ما
 من تدفق أفكاره

في الجبال يصطخب السكون
 ليسبر عُلوّه الشاهق
 وفي البحيرة
 تتوقف الحركة ساكنة
 لتأمل قرارها العميق

قُبلة ليلة البارحة
 على عينيّ الصباح المغمضتين
 تتوهج في نجم الصباح

أيتها العذراءُ

جمالُك فاكهةٌ تُوشِكُ أن تنضجَ

مُفعمةٌ بالأسرار الواعدة

الحزن الذي فقد ذاكرته

يشبه أزمناً معتمَةً خرساء

تُعوزُها أغاني الطيور

ولا تملك سوى سقسقة الحشرات

بقبضة قاتلة

يحاول التعصب الأعمى

أن يحتفظ بالحقيقة آمنة في يده

آملةً في شد عزيمة مصباح واهن

تسرجُ الليلة العظيمة جميع نجومها

بالرغم من أن السماء

تحتضن عروس الأرض

بين ذراعَيْها

إلا أنها تظلُّ بعيدةً على الدوام

يبحث الإله عن رفاق

وينشد الحب

ويبحث الشيطان عن عبيد

ويطلب الطاعة

ردًا للجميل

تُبقي التربةُ الشجرةَ مشدودةً إليها

أما السماءُ فتركها طليقةً

ولا تطلب منها شيئًا

الخلود كالجوهرة
لا تتباهى بطول عمرها
بل ببريق لحظتها

يقيمُ الطفلُ دوماً في غموض الزمن السرمدي
غير محبوب بغياب التاريخ

ضحكةٌ مشرقةٌ في مدارج الخلق
حاملة إياه بسرعة خاطفة عبر الزمن

31

من كان بعيداً
جاءني صباحاً
واقرب مني
وها هو ذا، وقد غيبه الليلُ
لا يزال أقربَ إليَّ من ذي قبل

32

تتلاقى نباتات الدفلى الوردية والبيضاء
فتمنحنا البهجة
بلهجاتٍ مختلفة

عندما ينشط السلام في مقايضة قذارته
فإنها العاصفة

البحيرة الممتدة أسفل التل
تضرعٌ دافع للحب
عند أقدام من لا يلين

هناك يبتسم الطفل السماويُّ
وسط ألعاب غيومه الخالية من المعنى
والأضواء والظلال السريعة الزوال

يهمسُ النسيمُ لزهرة اللوتس:

«ما هو سرُّك؟»

فتجيب: «إنها نفسي

اسرقها، فأتلاشي»

حرية العاصفة وعبودية الساق

تشابك أيديهما

في تمايل الأغصان الراقصة

تلعثم الياسمين بالحب للشمس

هو أزهاره

يتشدق الطاغية بالحرية؛ ليقتلها

ثم يحتفظ بها لنفسه

الآلهة وقد سئمت فردوسها

تحسد الإنسان

الغيومُ تلالٌ في الضباب
التلالُ غيومٌ في الحجر
والكل خيالٌ في حلمِ الزمن

42

بينما ينتظر الله أن يُبنى معبده بالحب
يجلبُ البشرُ الحجارةَ

43

بأغيتي ألمس الله
كما يلمس الجبلُ بشلاله البحرَ النائي

يكتشف الضوء كنز ألوانه
في تنافر السُحب

يتبسّم قلبي اليوم ضاحكًا
من دموع ليلته الماضية
مثل شجرة تتلألأ في الشمس
بعد توقف المطر

حدثُ الأشجار أن جعلت حياتي مشمرةً
لكني نسيْتُ العشب
الذي أبقاها خضراء على الدوام

الواحدُ بدونِ ثانٍ هو فراغٌ
والثالثُ يجعله حقيقةً

أخطاءُ الحياة تبكي الجمال الرَّحيمَ
الذي يُمكنه أن يُحيل وحشتها
إلى تناغمٍ مع الكل

لأن قفصهم جميل وآمن
يتوقعون الشكر على العُش الخرب

بالحبِّ أدفع لك ديوني الطائلة
لما أنت عليه

من ظلمته يبعثُ المستنقع ألحانهُ زنايقَ
فتطربُ لها الشمس

افتراؤك على العظيم عقوقُ
يؤذيك
وافتراؤك على الصغير حقارة
تؤذي الضحية

أول زهرة تفتحت على هذه الأرض
كانت دعوة لأغنية لم تولد بعدُ

54

الفجرُ - الزهرةُ المتعددة الألوان -

يخبو

فتنبجس الشمس

فاكهة الضوء البسيطة

55

العضلة التي تشكُّ في حكمتها

تخفق الصوت الذي سيصرخ

56

تحاول الريح نيل الشعلة بالعاصفة
لكنها تطفئها، وحسب

57

سريعةٌ هي مسرحيةُ الحياة
تساقط ألاعيبها خلف الكواليس
واحدةٌ تلو أخرى
وتُنسى

58

يا زهرتي
لا تبحثي عن فردوسك
في عروة أحق

59

لقد أشرقت متأخرًا يا هلالي
ومع هذا فطائرُ ليلى مستيقظٌ
ليرحبَ بك!

60

الظلامُ عروسٌ محجبةٌ
تنتظر بصمتٍ
عودةَ الضوءِ الهائمِ إلى حضنها

61

الأشجارُ هي حديث الأرض المتواصل
إلى السماء المنصتة

عبء النفس يَخْفُ
عندما أضحك من نفسي

بغضون هم الضعفاء
حين يستमितون في إظهار قوتهم

تعصفُ الرياحُ عاتيةً
فتتشبهُ المرساةُ يائسةً بالطينِ
وقاربي يسوط صدره بالسلاسل

واحدةٌ هي رُوحُ الموت
عديدةٌ هي أرواح الحياة
ومتى يموت الإله
يصيرُ الدينُ واحدًا

66

تتوق زُرْقَةُ السَّمَاءِ إِلَى خُضْرَةِ الْأَرْضِ
وَالرِّيحُ بَيْنَهُمَا تَتَنَهَدُ، «وَاحْسِرَتَاهُ».

67

ألمُ النَّهَارِ الْمَكْتُومِ بِرِيقِهِ
يَتَقَدُّ لَيْلًا بَيْنَ النُّجُومِ

68

تحتشد النجوم حول الليلة العذراء

برهة صامتة

من وحدتها التي لا تُمس

69

تمنح السحابة كل ذهبها

للمس الغاربة

ولا تحيي القمر المشرق

إلا بابتسامة شاحبة

من يفعلِ الخيرَ يبلغَ بوابةَ المعبدِ
 أما من يجب
 فيصل إلى الحرم المقدس

أيتها الزهرة
 فلترفقي بالدودة
 فهي ليست نحلة
 حُبها مشية مرتبكة وعبء

من أنقاض الإرهاب
 يشيد الأطفال بيوتَ دُماهم

خلال نهار طويل من الهجر
 ينتظر المصباح بشوق
 قُبلةً للهب في الليل

كسلاً مطمئناً
 يستلقي الريش على التراب
 وقد نسي سماءه

الزهرة الفريدة
 لا تحتاج أن تحسد الأشواك العديدة

لَشَدَّ مَا يَقَاسِي الْعَالَمُ
 مِنْ طَغْيَانِ النُّوَايَا الْحَسَنَةِ

نَنَالُ الْحُرِّيَةَ بَعْدَ أَنْ نَدْفَعِ الثَّمَنَ كَامِلًا
 مِنْ أَجْلِ حَقِّنَا فِي الْحَيَاةِ

هِدَايَاكَ الْبَسِيطَةَ الْعَفْوِيَّةَ
 أَشْبَهَ بِشُهَبِ لَيْلَةٍ خَرِيفِيَّةِ
 تَشْعَلُ نَارَ الْعَاطِفَةِ فِي أَعْمَاقِي

79

الإيمان الكامن في قلب البذرة

يَعُدُّ بمعجزة حياةٍ

آتية لا محالة

80

مترددًا يقفُ الربيعُ على باب الشتاء

فتهب إليه زهرة المانجو

قبل أوانها وتلقى حتفها

81

العالم هو الزبد المتغير دومًا

الطافي على بحر الصمت

يمزج الشاطئان المنفصلان صوتيهما
في أغنية دموع عميقة الغور

كنهر في البحر
يجد العمل إنجازه
في قلب الراحة

تسكعتُ في طريقي إليك
حتى فقدتُ شجرةً كرزك برعمها
لكن زهرة الأضاليا، يا حبيبتني،
جلبت لي غفرانك

بُرْعَمُ رمانتك الصغير الخجول
 المتورد الخدين اليوم خلف خماره
 سيتفتح غداً زهرة مشبوبة
 وقد صرتُ بعيداً

حماقة القوة تُعطب المفتاح
 وتستعمل المعول

قواربي الورقية هذه
 مصنوعة لتراقص على موجات الساعات
 لا لتصل إلى أية وجهة

تطيرُ الأغاني المهاجرة من قلبي
ناشدةً أعشاشها في صوت حبك

بحر الخطر، والشك والرفض
حول جزيرة يقين الإنسان الصغيرة
يحثه على تحدي المجهول

الحبُّ يُعاقبُ حين يغفر
ويجرُّ الجمال بصمته البغيض

91

وحيدًا تعيشُ دونها مكافأة
لخشيتهم من قيمتك العظيمة

92

الشمس نفسها تولد من جديد
في أراضٍ جديدة
في دائرة من صباحاتٍ لانهاية

93

الله عَالَمٌ
العالم يتجدد دومًا بالموت
كعملاقٍ ينسحق دومًا
بواسطة وجوده الخاص

وهي تستكشف الثرى
لا تدري دودة النور
أن النجوم في السماء

بنتُ اليوم هي الشجرة،
وطاعةٌ في السنِّ هي الزهرة
تحملُ رسالة البذرة السحيقة

كل وردة تأتي
تجلب لي تحايا
زهرة الربيع السرمدية

يُجَلِّني اللهُ حينَ أعملُ
ويجبنني حينَ أغني

حب يومي هذا لا يجد مأوى
في عشِّ هجره حب الأمس

عبر أحزانها تتلمس نار الألم
درباً منيراً لروحي

بانبعاثه من ميتاتٍ لا تحصى
يعيدُ العشبُ الحياةَ إلى الجبل

101

لقد غبتِ عن ناظري
مخلفةً لمسةً غير محسوسةٍ في زرقة السماء
صورةً محجوبةً في الريح
تتحرك بين الظلال

102

في رثاء الغصن المهجور
يطبعُ الربيعُ قبلةً ترفرف
على ورقةٍ وحيدة

الظل الخجول في الحديقة
 يجب الشمس بصمت،
 تبسم الزهور وقد أدركت السر،
 وتتهامس الأوراق

لم أترك أثرًا لأجنحتي في الهواء
 لكنني مسرور لانتهائي من رحلتي

اليراعات المتلألئة بين الأوراق
 تثير دهشة النجوم

راسخًا يظل الجبل

أمام هزيمته الظاهرية من قبل الضباب

107

والوردة تقول للشمس:

«سأظل أتذكرك على الدوام»،

اسأقت بتلاتها على التراب

108

الجبالُ هي إيلاءُ الأرضِ القانطة

لما لا يُطال

بالرغم من أن الشوكة في زهرتك وخزنتني،

أيتها الحسناء،

فإني ممتن

يعرفُ العالمُ كله أن القليل

أكثر من الكثير

لا تدغ حبي، يا صديقي، يثقل كاهلك

واعلم أنه بضاعة رائجة

يعزف الفجر على عوده أمام بوابة الظلام
قانعًا بالزوال عندما تشرق الشمس

الجمال ابتسامة الحقيقة
وهي ترى وجهها
في مرآة الكمال

قطرة الندى لا تعرف الشمس
إلا من خلال جرمها الصغير

115

الأفكار الصادرة من خلايا العصور الغابرة

تمتشد في الجو

تدندن حول قلبي

باحثة عن صوتي

116

الصحراء سجيئة

خلف جدار جديها اللامحدود

117

في رعشة الأوراق الصغيرة

أرى رقصة النسيم الخفية

وفي وميضها

أسمع نبضات قلب السماء السرية

118

شجرة مزهرة أنت

تذهلين

حين أثنى على هباتك

119

نار الأرض القربانية
تشتعل أشجارًا
وتنثر الشرارات أزهارًا

120

الغابات غيوم الأرض
ترفع إلى السماء صمتها
فتهبط الشُّحب من عليائها
زخاتٍ مطرٍ رنان

بالصور يحدثني العالم
وبالموسيقى تجيبه روعي

122

تحكي السماء لخزائنها طوال الليل
عن النجوم التي لا تحصى
في ذاكرة الشمس

123

ظلامُ الليلِ أخرس كالأم
وظلمةُ الفجرِ صامتةٌ كالسلام

تنقش الكبرياء تَجَهُّمَهَا على الأحجار
ويعلن الحب استسلامه لها بالأزهار

تقلصُ الفرشاة الخانعة الحقيقة
خلافًا للقماشة الضيقة

الجبل في شوقه للسماء البعيدة
يتمنى أنه سحابة
لا يكل عن السعي

ليبرروا إراقتهم للحبر
يتهجون النهار كالليل

تتسم المنفعة للخير
حين يكون الخير نافعًا

في كبرياتها المتعجرفة
تشك الفقاعة بحقيقة البحر
تضحك

فتنفجر إلى فراغ

130

الحب لغزٌ أبدي

إذ لا شيء سواه يشرحه

131

سُحبي الحزينة في الظلمة

نسيت أنها هي ذاتها

من حجبت الشمس

132

يكشف الإنسان ثراءه

حين يأتيه الله طالبًا العطايا

ذكراك التي خلفتها وراءك
صارت هبًا لفانوس فراقى المهجور

جئتُ لأقدم لك زهرةً
لكن عليك أن تنالي حديقتي كلَّها
فهي ملكك

الصورة - ذاكرة ضوءٍ
اكتنزها الظل

من السهل أن تتضحك في وجه الشمس
فضوءها يكشفها من كل الجهات

ببطءٍ يُخنق التاريخ حقيقته
ثم يهبُ مكافحًا لإنعاشها
بكفارة الألم الرهيب

بالأجر اليومي يُكافأ عملي
لكنني أنتظر تقديري الأخير بالحب

يعرف الجمال أن يقول: «يكفي»،

أما الهمجية فتصرخ طالبةً المزيد

140

يحب الله ألا يرى في عبده

بل نفسه التي تنفع الجميع

141

متناغمٌ ظلامُ الليلِ مع النهار

أما صباح الضباب فمتنافر

142

في زمن الورودِ السخي

يكون الحب نبيذاً

وفي ساعة الجوعِ غذاءً

حين تتساقط بتلاتها

143

زهرةٌ مجهولةٌ في أرضٍ غريبة

تخاطبُ الشاعرَ:

«ألسنا، يا حبيبي، من الطينةِ نفسِها؟»

أنا قادرٌ على أن أحبَّ إلهي
لأنه مَنَحَنِي حرية إنكاره

أوتاري غير المدونة تستجدي الموسيقى
ببكاء خجلها المكروب

تستغربُ الدودةُ حماقةَ الإنسان
الذي لا يلتهم كتبه

لساءِ اليومِ الغائمة
 طيفُ ظلالِ حزنٍ مقدسٍ
 على جبين الأبد المستغرق في التفكير

للعابرين ظلُّ شجرتي
 أما ثمرتها فنصيبٌ من أنتظر

متوردة بوهج الغروب
 تبدو الأرض ثمرةً ناضجةً
 تترقب أن يحصدها الليل

في سبيل الخلقِ
يَقْبَلُ الضُّوءُ الظلامَ قرينًا له

ينتظر المزمارة نفخ سيده
الذي ينطلق باحثًا عن قصبته هو

بالنسبة للقلم الأعمى
وهمية هي اليد التي تكتب
وما تكتبه لا معنى له

بعنفٍ يضربُ البحرُ صدرَ العقيمِ
إذ لا زهورَ له يقدمها للقمرِ

النَّهْمُ للثمرة تفوته زهرتها

في معبد نجومه
ينتظر الإله الإنسانَ
ليجلبَ له مصباحه

النارُ الحبيسة في الشجرة

تُبدعُ الزهور

واللهب الطليق

يموت بلا حياء

في الرماد العقيم

السماء لا تنصبُ فخاً لاعتقال القمر

حريتها تُلزمها بذلك

والضوء الذي يملأ السماء

يلتمس قيده في قطرة ندى على العشب

158

الثراء عبء الضخامة
والتخفف اكتمال الكينونة

159

هازئة بالشمس
تُفاخرُ الشفرةُ بحدتها

160

للفراشة متسعٌ لحب زهرة اللوتس
أما النحلة فمنهمكة في تخزين العسل

أيها الطفل، لقد جلبت لقلبي

وشوشة الريح والماء

وأسرارَ الزهرة الصامته

وجلبت لي أحلامَ الغيوم

والتحديقَ الصامت

في روعة سماء الصباح

قد يكون قوس قزح بين السحب جميلاً

لكن الفراشة الصغيرة وسط الشجيرات أجمل

ينسج الضبابُ شبكته حول الصباح

يأسره ويُعميه

تهمس نجمةُ الصباح للفجر:

«أخبرني أنك لي وحدي»

يجيبُ الفجر: «نعم،

ولتلك الزهرة المجهولة وحسب»

تظل السماء فارغة بلا حدود
لتبني عليها الأرض جنتها بالأحلام

166

ربما يتبسم الهلال بارتياح
حين يُخبر أنه مجرد كسرة تنتظر الكمال

167

كي تنعم بالسلام
دع المساء يغفر أخطاء النهار

يبرز جمال الحبيس في البرعم
مبتسماً في قلب النقصان العذب

حبك المرفرف، أيتها النحلة
مس بجناحيه زهرة شمسي
ولم يسألها
إن كانت تود التنازل عن عسلها

صامتة هي الأوراق حول الأزهار
التي هي كلماتها

كلحظة هائلة مهية
تحمّلُ الشجرة سنواتها الألفَ

نُذري ليست لمعبد نهاية الطريق
لكنها لمزاراته الجانية
التي تدهشني عند كل منعطف

ابتسامتك، يا حبيبتى
بسيطة وغامضة
مثل عبير زهرة غريبة

يضحك الموت من المبالغة بفضيلة الميت
إذ تمنحه أكثر مما يطيقه

عبثاً يتعقبُ تنهَّدُ الشاطئ النسيمَ
الذي يعاجل السفينة في البحر

تحب الحقيقة حدودها
إذ تلتقي هناك بالجميل

يا نفسي الجياشة،

بين شواطئي وشواطئك

محيطٌ هائجٌ

أتوقُ لعبوره

178

حق التملك يمحق بغباءِ الحقِّ في المتعة

179

الوردةُ أعظم بكثير من اعتذار خجول للشوكة

يقدم النهار لصمت النجوم

عُودَه الذهبِيَّ

ليعزف به لحنًا للحياة الخالدة

يعرف الحكيم كيف يُعلِّم

ويعرف الأحمق كيف يُؤذي

المحورُ ساكنٌ صامت

في قلب رقصة الدوائر السرمدية

يظن القاضي أنه عادلٌ
حين يقارن زيت قنديل آخر
بضوء مصباحه

الزهرة الأسيرة في إكليل الملك
تبتسم بمرارة
حين تحسدها زهرة المَرَج

مخازنُ الثلوج عبءٌ على الجبال وحدها
وتدققُها في أنهار عبءٌ على العالم كله

اصغِ إلى صلاة الغابة
من أجل حرقتها في الأزهار

دع حُبَّكَ يراني
ولو عبر حاجز القرب

رُوح العمل في الخلق
تستنهض رُوح اللعب

189

كي تتحمل عبء الآلة

احسب كلفة مادتها

وانس أن مأساة الحياة الصباء

هي من أجل الموسيقى

190

الإيمان هو الطائر الذي يستشعر النور

ويغرد قبل انبلاج الفجر

191

أيها الليل

لقد جئتك بكأس نهاري الفارغ

لتغسله بعثمتك الباردة

من أجل مهرجان صباح جديد

192

حفيف شجر ثنوب الجبال

يُحيل ذاكرة معاركه مع العاصفة

إلى ترنيمة سلام

شرفني الإله بمبارزته
 عندما كنت نائراً
 وتجاهلني حين تخاذلت

يظن المتعصب
 أنه اغترف البحر بدلوه
 إلى بركته الخاصة

في عمق الحياة الظليل
 تقبع أعشاش الذكريات المهجورة
 التي تضيق من الكلمات

ليجد حبي قوته في خدمة النهار
وسلامه في وحدة الليل

عبر أنصال العُشب
تبعث الحياة ترنيمه ثنائها الصامته
إلى النور الذي لا اسم له

نجوم السماء تلك
هي تذكارات أزهار نهارِي الذابله

افتح بابك لمن عليه الذهاب

فالفقد يصير غير لائق

حين يُعترض سبيله

النهاية الحقيقية ليست في بلوغ الم حدود

لكنها في الاكتمال غير الم حدود

201

يهمس الشاطئ للبحر:

«اكتب لي ما تُناضِلُ أمواجك كي تقوله»

فيكتب البحر بالزبد مرارًا وتكرارًا

ويمحو السطور بقنوطٍ صاحبٍ

202

دع لمسة إصبعك تهز أوتار حياتي

ولتعزف الموسيقى لأجلك ولأجلي

العالم الداخلي المَكْوَرُ في حياتي

أشبه بفاكهة

أنضجتها الأفراح والأحزان

ستسقط في ظلمة تربتها الأولى

لدورة خلقٍ جديدةٍ

الصورةُ في المادة

والإيقاع في القوة

والمعنى في الذات

205

ثمة باحثون عن الحكمةِ
وباحثون عن الثروةِ
أما أنا فأنشدُ رُفقتك كي أغني

206

كما تُساقط الشجرة أوراقها
أساقط كلماتي على الأرض
فلتدع خواطري المكنونة
تزهري في صمتك

إيماني بالحقيقة ورؤيتي للكمال
عون لك، يا سيدي، على الخلق

كل مباهجي
في ثمار الحياة وزهورها
أقدمها لك
في نهاية الحفلة
باتحاد حبّ مثالي

فَكَرَّ بَعْضُهُمْ بَعْمَقْ
 وَآكْتَشَفُوا مَعْنَى حَقِيقَتِكَ
 فَصَارُوا عَظْمَاءَ
 أَمَا أَنَا فَأَصْغَيْتُ لِعَزْفِ مُوسِيقَاكَ
 فَنَلْتُ سَعَادَتِي

الشَّجَرَةَ رُوحَ مَجْنَحَةٍ
 مَتَحَرَّرَةَ مِنْ عَبُودِيَةِ الْبَذْرَةِ
 تَوَاصَلَ مَغَامِرَةَ الْحَيَاةِ
 عَبْرَ الْمَجْهُولِ

تعرض اللوتس جماها للساء
ويقدم العشب خدماته للأرض

التقت الشعلةُ المصباحَ الطينيَّ فيَّ
ويا لها من معجزةٍ نورٍ عظيمةٍ!

تُقيم الأخطاءُ بجوار الحقيقة

فتواصل تضليلنا

214

ضحكت السحابة من قوس قزح

قائلة: إنه مدع متباه بفراغه

أجاب قوس قزح بهدوء:

«حقيقتي حتمية كحتمية الشمس ذاتها»

215

لا تتركني أتلمس طريقي في الظلام دون جدوى

ولتثبت عقلي بيقين أن النهار سينبلج

وأن الحقيقة ستظهر بكامل بساطتها

في سكون الليل
أسمع آمال الصباح العائدة من تطوافها
تطرق قلبي

يجيء إليَّ حبي الجديد
حاملاً ثراء الحب القديم الخالد

تحقق الأرض في القمر مستغربةً
حمله كلَّ موسيقاه في ابتسامته

219

بحملته الفضولية

يجبرُ النهارُ النجومَ على الرحيل

220

عند نافذتي ذاتها

يظفر عقلي اتحاده الحق بك

أيتها السماء

وليس في الفضاء الرحب

حيث مملكتك الفريدة

يزعم الإنسان أن زهور الله مُلكه
حين يَنْظِمها في إكليل!

المدينة المطمورة
المستلقية عارية في شمس عصر جديد
نجلانة أن فقدت كلَّ أغانيها

ألم قلبي

الذي افتقدَ معناه منذ أمدٍ بعيدٍ

شبيهةً بأشعة شمسٍ حجبها الظلام

تحت الأرض

وألم قلبي عند لمسة حبٍّ مفاجئةٍ

أشعةً تميّطُ حجابها عند مَقْدَمِ الربيعِ

وتبزغ في مهرجان الألوان

في الزهور والأوراق

مزمأرُ حياطي الفارغُ
 ينتظر موسيقاه الأخريرة
 كما تنتظر العتمةُ الأولى
 بزوغَ النجوم

حرية الشجرة ليست في انعتاقها من عبودية التربة

226

نسيج قصة الحياة المزخرف بالرسوم

محبوكٌ بخيوط حياة

كثيراً ما تتصل روابطها وتفترق

227

أفكاري التي تعجز الكلمات عن أسرها

جائمةٌ فوق أغنيتي وترقص

روحي في هذا الليل تهيمُ
 في قلبِ صموتٍ لشجرة
 تقف وحيدةً وسطَ همسات الوجود

أصداف اللؤلؤ التي قذفها البحر
 على شاطئ الموت العقيم
 تبديدٌ جميلٌ لحياةٍ خلّاقة

230

يفتح لي ضوء الشمس بوابة الكلمة
ويفتح لي ضوء الحب كنزها

231

حياتي مثل مزمار مثقوب
تعزف ألوانها الغربية
عبر فجوات آملها ومكاسبها

لا تدع ثنائِي العَظِيمَ لكِ يسلُبُ إجلالَ صمتي الأعظمِ

تجبيء رغباتُ الحياة في هيئة الأطفال

تتحسر الزهرة الذابلة
أن الربيع تواري إلى الأبد

235

في بستان حياتي

ثرائي كان من ظلالٍ وأضواءٍ

أبدًا لم تُجمع ولم تُخزن

236

الفاكهة التي نلتها إلى الأبد

هي تلك التي نالت رضاك

237

تعرف زهرة الياسمين

أن الشمس

ستكونُ أختها في الجنة

238

شابُّ هو الضوء العتيق

أما الظلالُ، بنتُ اللحظة

فتولد عجوزًا

239

أشعر أن مركب أغنياقي في آخر النهار
سيعبر بي إلى الشاطئ الآخر
حيث أستطيع أن أرى

240

الفراشة التي تطير من زهرة إلى أخرى
ستظل دوماً فراشتي
أما التي صدتها فقد خسرتها

صوتك، أيها الطائرُ الحر
يتناهى إلى عشي النائم
فتحلم أجنحتي النعسانة
برحلة إلى النور فوق الغيوم

أُخطئ دوري في مسرحية الحياة
لأنني لا أعلم شيئاً
عن الأدوار التي يلعبها الآخرون

243

تُساقط الزهرة كلَّ بتلاتها
فتظفر بالثمرة

244

أخلف أغنياي ورائي
للبرعم المتجدد المفعم بالرحيق
ولبهجة رياح الجنوب

245

متحدةً بالتربة
تسهم الأوراق الميتة
في حياة الغابة

على الدوام، يلتمس العقل كلماته
 من أصواته وصمته
 كما تلتمس السماء كلماتها
 من ظلامها ونورها

يعزف الظلام الخفي على نايه
 فيتحول إيقاع الضوء
 إلى دوامة نجوم وشموس
 وأفكار وأحلام

ليس لأغنياي أن تُغني
سوى محبتي لغنائك

حين يلامس صوت (الله) الصامت كلماتي
أعرفه فأعرف نفسي

تحياتي الأخيرة هي لأولئك
الذين عرفوا نقصي وأحَبُّوني

هبةُ الحبِّ لا تُوهَبُ

بل تنتظر أن تُقبَل

252

عندما يأتي الموت ويهمس لي:

«أيامك انتهت»

سأجيبه:

«لقد عشتُ في الحب لا في الزمن وحسب»

سيسألني: «هل أغنياتك باقية؟»

سأجيب: «لا علم لي، كل ما أعرفه

هو أنني كلما غنيتُ وجدتُ خلودي»

يقول النجم:

«دعني أشعل مصباحي

ولا تجادل فيما إذا كان سيبدد الظلام»

قبل نهاية رحلتي

هل لي أن أبلغ في نفسي

الواحد الذي هو كل شيء

تاركًا القشرة تهيم بعيدًا

مع الحشد التائه المنجرف

في تيار الصدفة والتحول

يراعاتُ طاغور

«الزهرة الأسيرة في إكليل الملك

تبتسم بمرارة

حين تحسدها

زهرة المرج..»

في عذوبة فائقة، وفكر موسوعي أحاط بالفلسفة والفن والجمال، ينقل شاعر الهند الأشهر «رابندرانات طاغور» الحائز على جائزة نوبل في عام 1913، ما وجد مخطوطاً على الحبر في الصين واليابان من حكم وامثال، ليصوغها بأسلوب شعري راق حمل اسم «يراعات طاغور» في وصف لكلماته بالفراشات المضيئة ليلاً وكان الكلمات تمنحنا النور برقة...

في هذا الكتاب ستطالع أول ترجمة عربية منشورة لـ «يراعات طاغور» أحد أشهر أعماله...

لصمم الغلاف أحمد الصبيح

